شبهات حول مريم -عليها السلام- أم المسيح

زهرة بن علي

ملخص:

لقد أثار المنصّرون بمعونة من المستشرقين عدة شبهات حول القصص التاريخي للقرآن الكريم ومن بين هذه القصص قصة مريم عليها السلام ونسبها وقصة انتباذها للمكان القصي وقصة صومها التي كانت واضحة أشد الوضوح في الآيات القرآنية، إلا أن المنصرون قد استغلوا سوء الفهم أو تعمد سوء الفهم في الطعن في نسبها ونسب ابنها من خلال قولهم بوجود أخطاء تاريخية في نصوص القرآن، ولكن عند الرّجوع إلى نصوص القرآن في كل حادثة نجد أن كلام الله محكم دقيق في تعبيراته وسرده للأحداث لا تناقض فيه.

Abstract :

The preachers and the orientalists raised several misconceptions about historic Holy Quran stories; among these stories the story of Mary and nutritive story and place her fast which was most evident in the clear Quranic verses, however, preachers may have taken advantage of the misunderstanding or deliberate misunderstandings Appeal in their proportions and ratios of her son by saying the historical errors in the texts of the Quran, but when you return to the texts of the Quran in every episode we find that Allah's words an arbitrator in his expressions and his account of events does not contradict it.

1. نسب مريم (عليها السلام):

ذكر القرآن اسم والد مريم أنه عمران، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[1] وذكر اسم أخيها أنه هارون: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ

1. التحريم: 12.

قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾[1]، ومن المعلوم أنّ اسم والد موسى عليه السلام عمران، وأن اسم أخيه هارون عليه السلام، فكيف يكون عمران والد لموسى ولمريم، وبينهما مئات السنين؟

وللبحث في نسب مريم من خلال ما ذكره القرآن الكريم، نجد ذكر آل عمران في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[2] كلمة اصطفى تدل على اختيار يرضي، وبمعنى: خصه بنفسه، أو أخذه صفوة من غيره فهي على أيّ حال تدل على الفضل العظيم[3].

وآل الرجل في اللغة أهله وعياله، ولا تستعمل كلمة الآل إلا فيما له شرف ولو ادعاء، وعلى هذا لا يرد، قال تعالى: ﴿ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾[4]، فالمراد بآل عمران امرأته وما تناسل منها ممن لهم الذكر والاصطفاء، وهم مريم وعيسى عليهما السلام، وعمران أبو مريم هو غير عمران والد موسى وهارون عليهما السلام، وبين العمرانين ألف وثمان مئة سنة كما ذكر ذلك الزمخشري[5].

وقيل: آل عمران آل ابراهيم، كما قال: «ذرية بعضها من بعض»، وقيل المراد عيسى، لأنّ أمه ابنة عمران. وقيل: نفسه، قال مقاتل: هو عمران أبو موسى وهارون، وهو عمران ابن يصهُر بن فاهاث بن لاوي بن يعقوب، فهو من نسل لاوي وليس يهوذا الذي تقول به الأناجيل.

وقال الكلبي: هو عمران اب مريم ، وهو من ولد سليمان عليه السلام،

---

1. مريم : 27- 28.
2. آل عمران: 33.
3. محمد متولي الشعراوي: مريم والمسيح، مكتبة التراث الإسلامي، د ب، د ط، د ت، ص7.
4. غافر: 46.
5. محمد سيد أحمد المسيّر: المسيح ورسالته في القرآن، مكتبة الصفا، د ب، ط1، 1999م، ص41.

وحكى السُّهيلي: عمران ابن ماثان، وامرأته حنّة، وخصّ هؤلاء بالذكر من بين الانبياء، لأنّ الأنبياء، والرسل بقضّهم وقضيضهم من نسلهم، ولم ينصرف عمران، لأنّ في آخره ألفا ونونا زائدتين[1].

ولو تتبعنا نسب المسيح لأمه مريم لكان على النحو التالي: المسيح ابن مريم بنت عمران وعمران في الانجيل هو يواكيم بن ماثان بن اسعاذا بن أبيود بن يورن بن زربابل بن سلثان بن يوحنا بن اوشا بن اموزن بن مشكي بن عمار بن رام بن خضروم بن فارص بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام، وكان بين العمرانين ألف وثمانمائة سنة، فيبدو أن هذا النسب يصل بالمسيح ابن مريم عليه السلام إلى داوود عليه السلام من جهة الأم. وبهذا تتحقق نبوءة بني اسرائيل في المسيح المنتظر وعليه يكون النسب من جهة الأم وليس من جهة الأب إذ لا أب له[2].

أمّا القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾[3]، وأمّا امرأة عمران، فهي أمّ مريم ابنة عمران، أم عيسى بن مريم صلوات الله عليه. وكان اسمها حنّة ابنة فاقوذ بن قبيل، كذلك: حدثنا به محمد بن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن اسحاق في نسبه وقال غير ابن حميد: ابنة فاقوذ -بالذال - ابن قبيل، فأما زوجها عمران، فغنه: عمران بن ياشم بن امون بن ميشا بن حزقيا بن أحزيق بن يوثم بن عزاريا بن امصيا بن ياوش بن أحزيهو بن يارم ابن يهشافاط بن أسابر بن ابيا بن رحبعم بن سليمان بن داود بن إيشا[4].

---

1. شمس الدين القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1964م،ج 5، ص 96.
2. حنان قرقوتي شعبان: حياة المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام من منظور اسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص40.
3. آل عمران: 35.
4. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل أي القرآن، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ط2، د ت، جز6، ص328.

أما قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ فقد اختلف الناس في معنى هذه الأخوة، ومن هارون؟ فقيل: هو هارون أخو موسى، والمراد: من كنّا نظنها مثل هارون في العبادة تأتي بمثل هذا، وقيل: على هذا كانت مريم من ولد هارون أخي موسى، فنسبت إليه بالأخوة، لأنها من ولده، كما يقال للتميمي: يا أخا تميم، وللعربي: يا أخا العرب، وقيل كان لها أخ من أبيها اسمه هارون، لأنّ هذا الاسم كان كثيرا في بني اسرائيل، قاله الكلبي. وقيل: هارون هذا رجل صالح في ذلك الزمان تبع جنازته يوم مات أربعون 442 ألفا كلهم اسمه هارون، وقال قتادة: كان في ذلك الزمان في بني إسرائيل عابد منقطع إلى الله عزّ وجلّ يُسمى هارون فنسبوها إلى أُخوته من حيث كانت على طريقته قبل، إذ كانت موقوفة على خدمة البِيَع، أي: يا هذه المرأة الصالحة، ما كنت أهلا لذلك. وقال كعب الأحبار بحضرة عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها: إنّ مريم ليست بأخت هارون أخي موسى. فقالت له عائشة: كذبت. فقال لها: يا أمّ المؤمنين، إنّ كان رسول الله ﷺ قاله، فهو أصدق واخبر، وإلاّ فإنّي أجد بينهما من المدة ست مئة سنة قال: فسكتت[1]، فقيل أنّ معناه يا شبيهة هارون في العبادة (ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) أي: أنت من بيت طيب طاهر، معروف بالصلاح والعبادة والزهادة فكيف صدر هذا منك؟ كما أنّه قيل أنّ هارون الذي نسبت إليه مريم كان رجلا مصلحا محببا في عشيرته، وليس بهارون أخ موسى، لكنه هارون آخر، قال: وذكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أربعون الفا، كلهم يسمون هارون، من بني إسرائيل[2].

فالقرآن الكريم لم يقع في خطأ تاريخي، عندما أخبر أنّ اسم والد مريم على اسم والد موسى، واسم أخيها على اسم أخي موسى، فعمران

1. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، جز 13، ص442-443.
2. اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية، ط1999،2م، جز 5، ص226، 227، 228.

والـد مريـم غـير عمـران والـد موسـى، وهـارون أخـو مريـم غـير هـارون أخـي موسـى عليهما السلام، لأنّ بـين العمرانين والهارونين حوالي ألف وستمئة سـنة، وقديمًا أثـار الرهبـان هذا الاعـتراض على القـرآن زمن رسـول الله ﷺ وحلّ الرسـول هـذا الاعتراض.

عـن المغـيرة بن شـعبة رضي الله عنه قال: بعثني رسـول الله ﷺ إلى نجـران فقالوا: ألستم تقـرؤون «يـا أخت هـارون» قلـت : بلى، قالوا: وموسـى قبل عيسـى بكـذا وكـذا؟ فرجعت إلى رسـول الله ﷺ، فأخبرته فقـال: «ألا أخبرتهم أنّهم كانوا يسـمون بالأنبياء والصالحين قبلهم»[1].

عندمـا أثـار أحد رهبان نصارى نجران الإشـكال أمام المغيرة بن شـعبة رضي الله عنه، لم يعـرف بـماذا يجيبـه، لأنّ ذلـك الراهـب رفـض أن يكـون هـارون أخا لمريـم، لأنّـه أخ لموسـى، وبين موسـى وعيسـى مـا بينهـما من مئات السـنين، فلـما سـأل المغيرة رسـول الله ﷺ عن ذلـك أجابه بـأنّ الصالحين مـن قبلهم. أي: همـا رجـلان: هارون أخو موسـى، ثمّ هـارون أخـو مريم[2].

2. انتباذ مريم (عليها السلام)

جـاء في القـرآن الكريـم: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾[3] فهنـا يذكـر القـرآن الكريـم أنّ مريـم انتبـذت مـن أهلهـا مكانًـا شرقيًـا واتخـذت لهـا حجابًـا مـن قبـل أن تحبـل بالمسـيح، فـماذا انتبـذت؟ هل كانـت في مشـاجرة مـع أهلهـا وهـم المشـهورون بالتقـوى؟ ولماذا تسـكن فتاة عـذراء بعيـدة عـن أهلها؟ فأشـار المنـصرون أنّ في القـرآن الكريـم تناقض في هـذا المعنـى، وهو أنّـه صرح بأنها كانـت في المحراب في كفالـة زكرياء، وصرّح بأنهـا انتبـذت، أي خرجـت منهم بعد مشـاجرة.

1. روى مسلم، والترمذي.
2. صلاح عبد الفتاح الخالدي: القرآن ونقض ومطاعن الرهبان، ص70- 71.
3. مريم : 16، 17.

كما أن القرآن الكريم خالف الإنجيل في مكان سكناها من قبل الحبل بعيسى عليه السلام ففي القرآن: أنها كانت تسكن في محراب أورشليم، أو في أي مكان مجهول، وفي الانجيل أنها كانت تسكن في الناصرة[1].

جاء في انجيل يعقوب: أن مريم وهي في سن الثالثة: ذهبت بها أمها بصحبة أبيها إلى «أورشليم» وسلماها إلى كهنة هيكل سليمان، وكانت علامات السرور تبدو عليها، ثمّ تركاها ورجعا إلى أورشليم، وعاشت مع الراهبات والمنذورات إلى أن حبلت.

وإن أنت نظرت في خريطة فلسطين، تجد حبرون أسفل أورشليم وقريبة منها، وتجد الناصرة على نفس الخط وبعيدة عن أورشليم، فتكون أورشليم غرب الناصرة، وشرق حبرون، وفي الانجيل: **[وَفِي ذلِكَ الْوَقْتِ وُلِدَ مُوسَى وَكَانَ جَمِيلاً جِدًّا، فَرُبِّيَ هذَا ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، وَلَمَّا نُبِذَ، اتَّخَذَتْهُ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ وَرَبَّتْهُ لِنَفْسِهَا ابْنًا]**[2] فقوله «ولما نبذ» لا يدل على أنّ أهله كرهوه وإنما يدل على أنهم وضعوه في التابوت وهم لوضعه كارهون، ومن ينتبذ عن قوم لا يدل انتباذه عنهم على كرهه لهم، وإنما يدلّ على ابتعاده عنهم لسبب أو لأسباب، وإذ صح وثبت أنّ ابتعادها عنهم كان لعبادة الله، يثبت أنها لم تنتبذ لمشاجرة.

وقد تبين أن الناصرة من نصيب سبط زبولون وهو من أسباط السامريين وهي من سبط يهوذا فكيف تكون من سكان الناصرة، فلماذا أتت إلى أورشليم لتعد مع سكانها، وسكان أورشليم من سبطي يهوذا وبنيامين؟ فالحق ما قاله القرآن أنها كانت هارونية، ومعلوم أن زكرياء وامرأته ويوحنا المعمدان كانوا من التابعين لأهل أورشليم[3].

---

1. أنظر: لوقا1: 23-26.
2. أعمال الرسل:7: 21.
3. عبد الصبور مرزوق وآخرون: حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، د ط، 2002م، ص474- 475.

3. مريم تلد في البرية ووليدها يكلمها من تحتها.

ولادة المسيح في بيت لحم تدل على أنّ مريم ممن سكان الخليل التي هي حبرون، ولا تدل على أنّها من سكان الناصرة، ففي خريطة فلسطين تجد بيت لحم تحت أورشليم، وبعدها تجد حبرون، وعلى هذا تكون مريم بعد حملها بالمسيح وإحساسها بدنو الوضع، قد اتجهت إلى حبرون فأجاءها المخاض عند بيت لحم، ولو كانت من الناصرة وأحست بالحمل وبالوضع، لاتجهت إلى الناصرة، وعندئذ يكون الوضع في مكان بين أورشليم وبين الناصرة، فقولهم بالمخاض في بيت لحم يصدق القرآن الكريم في أنها كانت من نسل هارون الساكنين في حبرون.

وقول المعترض: إنّ التوراة تنبأت بولادة المسيح في بيت لحم، يقصد به ما جاء في سفر ميخا وهو: **[أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمِ أَفْرَاتَةَ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا، فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ]**(1) والنبوءة موضوعة وليست من النص الأصلي بدليل: أنّ المسيح كان من الهارونيين من جهة أمه، وبيت لحم من مدن سبط يهوذا، ولو كان له أب لأمكن للنصارى نسبته الى سبط أبيه، ولكنه لا أب له، فكيف ينتسب الى سبط يهوذا أو غير سبط يهوذا؟ وبدليل أنّ المتسلط على إسرائيل وهو النبي الأمي الآتي على مثال موسى، يكون ملكًا وفاتح بلاد ولم يكن المسيح ملكا ولا فاتح بلاد وبدليل: أن سفر ميخا مرفوض من السامريين، وبدليل أنّ شراح سفر ميخا يصرحون بالتناقض فيه، والنبوءة من مواضع التناقض التي صرحوا بها، يقول الشراح: «هناك تعليمان متشابكان في كتاب ميخا: الأول (الله يدين شعبه ويعاقبه)، (الله يعد شعبه بالخلاص) (حين يعيده الى حاله السابقة ويجعله بقيادة رئيس من نسل داوود).

– وقد جاء في إنجيل متى الأبوكريفي معجزة النخلة.

---

1. ميخا 5 : 2

وكلام المسيح في المهد جاء في برنابا وفي إنجيل الطفولة العربي، وجاء في تاريخ يوسيفوس[1]. وقال المعترض: إنّ المسيح كلم أمّه من تحتها: أن تهزّ جذع النخلة... إلخ، وهو قد قال بذلك على قراءة «من تحتها» والحق: أنّ الذي ناداها هو ملاك الله نفسه، وسياق الكلام يدل على أنه الملاك. فإنه قد قال لها: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾[2]، ولما حملته وانتبذت به وأجاءها المخاض وتمنّت الموت، عاد إلى خطابه معها فقال: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾[3].

كما أن من اعترض وغالط في نقل المعنى بقوله: «وغريب أن يكلمها وليدها من تحتها: أن تهزّ إليه جذع النخلة وتأكل من البلح وتشرب من الجدول»، فإذا مرّ بها أحد تقول: «إني نذرت للرحمان صوما فلن أكلم اليوم إنسيا» فأين الصوم وهي الآكلة الشاربة المتكلمة؟

ووجه المغالطة: أنه يقول: فإذا مرّ بها أحد تقول ..الخ. والمعنى الصحيح: أنها لا تقول لكل أحد يمر عليها إنها صائمة عن الطعام والشراب وإنّما تقول: لا أتكلم مع أحد في أمر ابني في هذه الأيام، فجملة (فإما تريّ من البشر) جملة مستأنفة لا صلة لها بالطعام والشراب، وقولها: (إني نذرت للرحمان صوما) تعني به المعنى المجازي وهو الامساك عن الكلام بدليل: (فلن أكلم) ولم تقل فلن آكل[4]، ثمّ إنّ بعد أن ولد المسيح وكبر ادعى النصارى أنه ابن الله، يقول الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾[5]. فقد اتخذه النصارى ربًا معبودًا بعدما قالو أنه ابنه

1. عبد الصبور مرزوق وآخرون: حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص476، 477.
2. مريم : 21.
3. مريم : 24- 25.
4. عبد الصبور مرزوق وآخرون: حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص477، 478.
5. التوبة: 31.

واعتقدوا فيه الحلول، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا[1].

لقد أثار المنصّرون بمعونة من المستشرقين عدة شبهات حول القصص التاريخي للقرآن الكريم ومن بين هذه القصص قصة مريم -عليها السلام- ونسبها وقصة انتباذها للمكان القصي وقصة صومها التي كانت واضحة أشد الوضوح، إلا أن هؤلاء المهاجمون المنصرون قد استغلوا سوء الفهم أو تعمد سوء الفهم في الطعن في نسبها ونسب ابنها من خلال إثارة عدة شبهات حولها إلاّ أن الكذب كان واضحاً في ذلك وجلي ويستطيع أن يراه كل إنسان ناطق باللغة العربية، فكان المختصين لهم بالمرصاد حيث وضعوا النّقاط على الحروف.

1. محمد جمعة عبد الله : رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1685م، ص81.